غارة الأقلام

على الملاحدة القائلين

بأن الكعبة والحجر الأسود كالأوثان والأصنام

تقديم

الشيخ المحدث الدكتورسليم بن عيد الهلالي

تلميذ الإمام الألباني

تأليف

أبي حذيفة عبدالله بن أحمد العبدلي

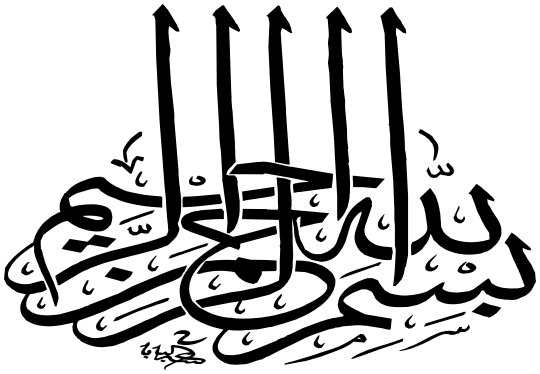

الطبعة الثانية

١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

- اسم الكتاب: غارة الأقلام على الملاحدة القائلين بأن الكعبة والحجر الأسود كالأوثان والأصنام.
- تأليف: أبي حذيفة عبدالله بن أحمد العبدلي.
- عدد الصفحات: ٤٨ صفحة.
- القياس: ١٧×٢٤.

مقدمة الشيخ المحدث الدكتور/ سليم بن عيد الهلالي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمداً يرضيه والصلاة والسلام على من اجتمعت المحاسن واكتملت الفضائل فيه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد اطلعت على عدة رسائل ومجموعة من الكتيبات [(١)]، لأخينا الفاضل أبي حذيفة عبد الله العبدلي - وفقه الله - في مواضيع شتى علمية وتربوية ودعوية، فوجدتها نافعةً في جملتها مفيدةً في موضوعاتها وتستحق النشر، والله الهادي.

سليم بن عيد الهلالي

عمان - الأردن

(٢٧/جمادى الآخرة/١٤٤٥) هجري

(١) وهذه الرسالة واحدة منها.

كلمة شكر

يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**».(١) وإن يكن من شكرٍ فهو لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي شرح صدورنا لاتباع السنة ومَنَّ علينا بالكتابة، ووفقنا للدفاع عن كتابه وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم لوالداي الذَينِ كانا سبباً في وجودي، وعوناً لي على طلب العلم منذ الصغر، ثم لمشايخ السنة الذين نهلنا من علومهم، وتعلمنا من آدابهم وأخلاقهم.

وشكرنا موصول للشيخ العلامة المحدث الدكتور: سليم بن عيد الهلالي- حفظه الله- وبارك في عمره وعلمه، الذي تفضَّلَ بقراءة مجموعة من كتبي ورسائلي، وكتب مقدمة واحدة لجميعها، وأفاد بأن نصدِّر تلك المقدمة في كلِّ ما عرضناه عليه من كتيبات ورسائل، ولا يخفى على طلاب العلم أن الشيخ سليم الهلالي هو أحد كبار طلبة الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ وممن أثرى المكتبة الإسلامية بكتبه النفيسة، وتحقيقاته النافعة في مختلف المجالات.

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وغيرهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وصححه الألباني في الصحيحة (٤١٦)، وصحيح الترغيب (٩٦٣)، وصحيح الجامع (٧٧١٩ - ٢٨٣٠).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ثم أما بعد:

فهذه الرسالة فيها رد على شبهة الملاحدة التي يقولون فيها إن الصلاة إلى الكعبة والطواف حولها وتقبيل الحجر الأسود وغير ذلك من شعائر الحج والعمرة فيها من شعائر الوثنية ، وأنها- كعبادة الأصنام والأوثان وأن الكعبة عبارة عن صنم! وأن المسلمين لا يختلفون في ذلك عن المشركين وعُبَّاد الأصنام والحجارة، وقد أرادوا من هذه الشبهة -التي سرت إليهم من النصارى والملاحدة من قبلهم- أن يُلَبِّسُوا على أتباعهم ويوهموهم أن المسلمين يعبدون الأوثان: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ [سُورَةُ الْكَهْفِ :٥].

كما يرومون منها تشكيك من ضَعُفَ إيمانه وعلمه من المسلمين، فهذه الشبهة مبنية على جهل قائليها من جهة ، وسوء نواياهم من جهة أخرى ، والكلام الوارد فيها

معلوم البطلان بالضرورة عند المسلمين، إلا من ضَعُفَ علمُه ويقينه ممن تأثر أو احتار منها فلهؤلاء وكذا لأصحاب الشبهة كتبنا هذا الرد الذي استفدناه من كلام أهل العلم المقروء والمسموع ومما فَتَحَ اللهُ به علينا من أوجه الرد والاستنباطات.

هذا: وقد جعلت الرد على هذه الشبهة من وجوه.

فأقول مستمداً العون والسداد من ربنا الهادي إلى سبيل الرشاد:

الوجه الأول

أن الله هو الخالق يخلق ما يشاء ويختار كما قال سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨]. وقد اختار اللهُ الكعبةَ، وجعلها أحبَّ البقاع إليه، وأعلم نبيه إبراهيم عليه السلام بمكانها وأمره ببنائها ، **فإنه هو الذي بناها على القول الصحيح من أقوال أهل العلم.**

وقد قال ربنا:﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ :١٢٧].

وهناك من قال إن أول من بناها آدم وقيل الملائكة، والراجح هو ما ذكرناه، ثم أمر الله عباده بالصلاة إليها والطواف حولها، من باب العبادة ، وأما الأوثان والأصنام فقد اختارها شياطين الإنس والجن وأمروا الناس بعبادتها.

الوجه الثاني

أن الكعبة ليست وثناً ولا صنماً، وإنما هي بيت الله، وأن الطواف به من شعائر الله التي شرعها لعباده، وأن الملاحدة الذين أثاروا ويثيرون هذه الشبهة لا يعرفون معنى الوثنية ولا يُفَرِّقُون بينها وبين التوحيد أو يغالطون في ذلك، فالوثنية دين أرضي ينتسب إلى الأوثان وهي الأصنام والأنصاب والصور، وأخص هذه النسبة هو التعلق بالأوثان بالخوف والرجاء والتذلل والعبادة مع قدرٍ من المحبة والتعظيم

يصاحب ذلك اعتقاد النفع والضر فيها، وأما الإسلام فقد دعا أتباعه إلى التوجه والتقرب إلى الله بكل معاني العبودية القلبية والعملية، ومن لم يفرق بين مفهوم التوحيد والوثنية لم يعرف شيئاً من تاريخ الأديان وفواصل العقائد التي افترق عليها الناس ويكون قد حكم على نفسه ودعا عليها بالجهل.

إذن (..فالوثن وجمعها أوثان، والوثن ما عبد من دون الله من قبر، أو شجر، أو حجر، أو بقاع، أو غير ذلك. أما الصنم فهو: ما عُبِدَ من دون الله وهو على صورة إنسان أو حيوان، كما كان قوم إبراهيم يعبدون التماثيل:﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [سُورَةُ الأَنبِيَاءِ :٥٢].

والتماثيل جمع تمثال، وهو: ما كان على صورة إنسان، أو حيوان هذا هو الفرق بين الوثن والصنم، وقد يراد بالصنم الوثن، والعكس. وإذا ذكر أحدهما شمل الآخر، وإذا ذُكر الصنم فقط دخل فيه الوثن، وإذا ذكر الوثن فقط دخل فيه الصنم، أما إذا ذُكرا جميعاً افترقا في المعنى، فصار الصنم: ما كان على شكل تمثال، وأما الوثن فيراد به: ما عُبِدَ من دون الله من الشجر، والحجر، والقبور والصور وغير ذلك، ولم يكن

على صورة تمثال، فبينهما عموم وخصوص مطلق، يجمعها أنها تُعبَدُ من دون الله عز وجل. روى مالكٌ في "الموطأ" أن رسول الله ﷺ قال: **((اللّٰهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ....))**[١]

الوجه الثالث

أن المسلمين لا يعبدون الكعبة ولا الحجر الأسود ولا يتخذونها آلهة من دون الله وإنما يعبدون الله وحده لا شريك له، وأما المشركون فإنهم يعبدون الأوثان والأصنام من دون الله كما هو معلوم.

---

[١] انظر إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد / ١/ ٣٠٠/ ٣٠١).

الوجه الرابع

أن طواف المسلمين بالكعبة واستقبالهم البيت في صلاتهم يأتي بأمر من الله تعالى وهم يفعلون ذلك عبادة لله وطاعة له سبحانه وامتثالاً لأمره، بخلاف عُبَّاد الأصنام والأوثان فإنهم يعبدونها من دون الله بأمر من شياطين الجن والإنس.

الوجه الخامس

أن تعظيم المسلمين للكعبة والحجر الأسود لم يأت من ذوات أنفسهم وإنما تعظيمهم لهما تابع لتعظيم الله إياهما؛ فإنهما من شعائر الله التي قال الله عنها: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [سُورَةُ الحَجِّ: ٣٢].

الوجه السادس

أن المسلمين يعتقدون أن الكعبة وغيرها من المخلوقات لا تنفع ولا ترفع ولا تدفع ولا تملك لهم رزقًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، وإنما يعتقدون أن الله وحده هو مالك الضر والنفع، وأن الأمور كلها بيده وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولذلك ترى المسلمين حقاً لا يدعون ولا يرجون ولا يخافون الكعبة ولا يخشون أحداً غير الله سبحانه وتعالى، بخلاف المشركين وعبدة الأصنام والأوثان.

الوجه السابع

أن تقبيل الحجر الأسود والطواف حول الكعبة وغيره من شعائر الحج والعمرة وكذا الصلاة إليها مرتبط بعبادة الله وحده واتباع رسوله ﷺ بينما صلاة المشركين وطوافهم حول القبور أو حول الأوثان والأصنام مرتبط بالشرك والوثنية وعبادة غير الله فهم يعبدونها من دون الله، وأما أهل الإسلام فيتعبَّدون لله عند الكعبة بعبادات

شرعها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ .

الوجه الثامن

أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه قد بَيَّنَ هذا المعنى ودفع هذه الشبهة وقضى عليها كما في صحيح البخاري:١٥٩٧) ومسلم:١٢٧٠ وكلاهما أخرج الأثر في كتاب الحج عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه **أَنَّهُ جَاءَ إِلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فَقَبَّلَهُ، فَقَالَ : إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ.**

قال بعض أهل العلم منهم الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ :(إنما قال عمر ذلك لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام فخشي أن يظن الجهال أن استلام الحجر الأسود من باب تعظيم الأحجار كما كانت العرب في الجاهلية تعظم الأصنام التي هي عبارة عن أحجار فأراد عمر أن يُعَلِّمَ الناسَ أن استلامه للحجر كان اتباعاً للنبي ﷺ في فعله لا لأن الحجر يضر وينفع بذاته).

الوجه التاسع

أن المسلمين يطوفون بالكعبة ويتوجهون إليها في الصلاة ويقبلون الحجر الأسود ويرمون الجمرات ويفعلون غير ذلك من المشاعر، كل ذلك يفعلونه طاعة لربهم لأنه هو الذي أمرهم بذلك ولو امرهم الله أن يتوجهوا عكس الكعبة لأطاعوه ولو أمرهم أن يطوفوا حول جبل -أي جبل- لفعلوا ، فتبين لنا من ذلك أنهم يعبدون ربهم وخالقهم ولا يعبدون تلك الأحجار والأماكن، بخلاف الوثنيين فإنهم يعبدون الأصنام والأوثان، ويعتقدون أنها آلهة، ويطلبون منها حاجاتهم ، ويعتقدون فيها النفع والضر.

الوجه العاشر

أن المسلمين لم يجعلوا الكعبة وسيطاً بينهم وبين الله، كما فعل المشركون الذين عبدوا الأصنام وعللوا عبادتهم لها بقولهم كما حكى الله قولهم: ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ۝٣ ﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ :٣].

الوجه الحادي عشر

أن الرب الخالق إذا عظم شيئاً ودعا عباده إلى تعظيم ذلك الشيء، وأمرهم أن يقوموا بأعمال عنده، فذلك عبادة وطاعة وتوحيد ، وليست ممارسات وثنية كما يقول هؤلاء الملاحدة.

الوجه الثاني عشر

أن تعظيم العرب وكفار قريش للكعبة وطوافهم عندها وغير ذلك من الشعائر ورثوها عن الرسل وهي من بقايا دين إبراهيم عليه السلام انتقلت إلى العرب قبل ظهور الإسلام، فتبين لنا أن العرب لم يعظموا الكعبة ولم يمارسوا تلك الشعائر عندها من جهة أنفسهم، وإن كانوا قد زادوا فيها أعمالاً وأقوالاً وبِدَعَاً ما أنزل الله بها من سلطان وحين جاء الإسلام أبطل ما زادوه من مظاهر الوثنية والشرك والباطل.

الوجه الثالث عشر

أن الشرك والوثنية والقرابين والعبادات الشركية التي كان مشركو العرب يمارسونها قبل الإسلام عند الكعبة وحولها لم يكونوا يصرفوها للكعبة بل كانوا يتقربون بها للأصنام والأوثان التي قدم بها عمرو بن لحي الخزاعي، فإنه هو الذي غيَّر دين العرب من دين إبراهيم عليه السلام إلى عبادة الأصنام والأوثان. فلما جاء الإسلام قضى على مظاهر الشرك ودعا إلى كسر الأصنام، ولما فتح النبي ﷺ مكة حطم الأصنام التي حول الكعبة وكانت ثلاثمائة وستون صنماً فجعل يكسرها يوم الفتح وهو يقرأ قول الله تعالى:﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: ٨١].

الوجه الرابع عشر

ومن الوجوه القوية في الرد على هذه الشبهة وفيه بعض التعلق بما قبله: أن كفار العرب -وقريش منهم- بعد أن تحولوا من الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام إلى الشرك وأصبحوا

وثنيين يعبدون الأوثان والأصنام لم يعبدوا الكعبة يوماً من الدهر مع أنها كانت معظمة عندهم جميعاً، فقد كانوا يعبدون الأصنام التي كانت عند الكعبة وحولها ويتجنبون عبادة الكعبة، فإذا ترك هؤلاء المشركون عبادة الكعبة وهم كفار فكيف سيعبدها المسلمون الموحدون؟!.

وقد قال بعض أهل العلم: (كان من تكريم الله تعالى لبيته أن صرف مشركي العرب وغيرهم من الوثنيين الذين كانوا يعظمونه قبل الإسلام عن عبادته وقد وضعوا فيه الأصنام ولم يعبدوه وذلك لأن عبادة الشيء تجعل العابد يعتقد أن له قدرة غيبية يترتب عليها الرجاء بالنفع أو الضر لمن يعبده والخوف من ضره لمن لا يعبده أو يُقَصِّر في تعظيمه سواءً كانت هذه القدرة ذاتية لذلك المعبود أم كانت غير ذاتية كأن يعتقد بأنه واسطة بين من لجأ إليه وبين المعبود الذي له القدرة ، ولا يوجد أحد من المسلمين يعتقد ذلك في الكعبة ولا في الحجر الأسود ، ولم تكن العرب في جاهليتها تعتقد ذلك في الحجر الأسود كما تعتقده في أصنامها حين قالوا كما قال الله فيهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ۝٣﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ :٣].

وقال الله فيهم :﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ۝١٨﴾ [سُورَةُ يُونُسَ :١٨].

الوجه الخامس عشر

لا يوجد دين حارب الشرك والوثنية وعبادة الأصنام، وحارب الخرافات بأشكالها وألوانها كما حاربها دين الإسلام، والقرآن والسنة مليئان بتلك المحاربة، ولا ينكر ذلك إلا كاذب أو حاقد، بل وحرم دين الإسلام كل ذريعة موصلة إلى الشرك وعبادة الأصنام والأوثان، فكيف يقول هؤلاء الملاحدة إن الكعبة أو الحجر الأسود أصنام أو أوثان تعبد من دون الله ؟.

الوجه السادس عشر

ومن مظاهر محاربة الإسلام للشرك والوثنية، تحريمه للأصنام وبيعها والصور والتماثيل، وتحريمه للغلو في الصالحين وفي قبورهم، ونهيه عن رفع القبور والصلاة إليها والدعاء عندها ، والذبح عندها والطواف حولها.....إلخ مما لا يحصى كثرة.

وقد ذكر أهل العلم: أن الغلو في قبور الصالحين يُصَيِّرها أوثاناً تُعبد من دون الله.

والغلو في قبور الصالحين هو: الزيادة في تعظيمها، لأن ذلك يؤدي إلى الشرك، لأن المشروع في قبور الصالحين- وقبور المسلمين عموماً- احترامها، وعدم إهانتها وصيانتها عن الأذى، وزيارتها للسلام على الأموات، والدعاء لهم، والاعتبار بأحوالهم، هذا هو المشروع، أما الغلو فهو قصدها للتبرك، أو الدعاء عندها، أو الصلاة عندها رجاء الإجابة، هذا هو الغلو، لأن هذا لم يشرعه الله ولا رسوله، ولأنه وسيلة إلى الشرك.

"**يُصَيِّرُهَا**" أي: يجعلها في المستقبل، وعلى امتداد الزمان. كما نصَّ أهل العلم أنه يجب قطع الأشجار، وإزالة الأحجار التي يتبرك بها الناس، حسماً لمادة الشرك، كما فعل عمر رضي الله عنه حين قطع الشجرة التي بويع فيها النبي ﷺ بيعة الرضوان، فقد روى ابن سعد ٢/١٠٠، وابن أبي شيبة ٢/٣٧٥، وابن وضاح "١٠٥" عن نافع مولى ابن عمر قال: "**بلغ عمر بن الخطاب أن ناساً يأتون الشجرة التي بويع تحتها فأمر بها فقُطعت**" كل ذلك سداً لذريعة الشرك، ونحن نقول: إذا كان الإسلام قد جاء بمثل هذه الأحكام، فكيف يوصف أو توصف بعضُ شعائره بالوثنية والصنمية؟!.

الوجه السابع عشر

على المسلم أن يؤمن بأن الله شرع لنا أقوالاً وأفعالاً وشعائر وعبادات مخصوصة ومنها الحج والعمرة والصلاة والزكاة، تقرباً وتعبداً لله وحده، وعلى المؤمن أن يؤمن بذلك، ويمتثل تلك الأوامر، فشعائر الحج والعمرة والصلاة ليست من الوثنية في شيء لأنها لا تتضمن أي عبادة لغير الله، وبناء على ذلك فكل أفعال الحج والعمرة هي مجرد طاعات وتنفيذ لأوامر الله، وأنها مثل حركات وأقوال نفعلها تقربا لله وحده لأنه أمرنا بذلك، كما أن عليك -أيها المسلم- أن تعلم أن الأعمال التعبدية الأصل أن تفعلها دون أن تسأل فيها عن الحكمة، فأنت تتوضأ وتغتسل ما الحكمة من الوضوء والغسل؟ الله أعلم، وأنت ترمي حجراً وتقبل حجراً ما الحكمة من تقبيل هذا ورجم هذا؟ الله أعلم، فلا داعي أن تسأل عن الحكمة، وأي حكمة قيلت في الكتب فهي اجتهاد، فالأمور التعبدية بالذات الحكمة فيها اجتهادية لا أكثر، فإن ظهرت لك الحكمة من العبادة فاحمد الله وإن لم تظهر لك حكمة فليكن شعارك معها دائماً وأبداً: سمعنا وأطعنا وآمنا وسلمنا.

الوجه الثامن عشر

أن الله تعالى الذي أمر المسلمين بحج الكعبة والطواف حولها قد قال لعباده المؤمنين: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣﴾ [سُورَةُ قريش:٣]. ولم يقل لهم اعبدوا هذا البيت وجميع المسلمين على هذا الاعتقاد.

الوجه التاسع عشر

لم يشرع الله الطواف إلا حول الكعبة فقط فلا يجوز الطواف بغير الكعبة المشرفة سواءً كان حول قبر نبي أم صالح أم شجر أم حجر أم غير ذلك ؛ لأن الطواف عبادة لم يشرعها الله إلا حول بيته ، كما قال تعالى : ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ۝٢٩﴾ [سُورَةُ الحَجِّ :٢٩].

ومن صرف هذه العبادة لغير الله، فطاف حول الأضرحة والقبور يتقرب إليها بذلك الطواف فقد وقع في الشرك الأكبر، وعلى ذلك أهل العلم .

قال الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

كما في فتاوى نور على الدرب بعناية الطيار ص ٢٨٤ وما بعدها:(..لا يجوز الطواف بالقبور، لا بقبر أبي الحسن الشاذلي، ولا بقبر البدوي، ولا بقبر الحسين، ولا بالسيدة زينب، ولا بالسيدة نفيسة ولا بقبر من هو أفضل منهم، لأن الطواف عبادة لله وإنما يكون بالكعبة خاصة، ولا يجوز الطواف بغير الكعبة أبداً، وإذا طاف بقبر أبي الحسن الشاذلي أو بمقامه يتقرب إليه بالطواف، صار شركاً أكبر، وليس هو يقوم مقام حجة ولا مقام عمرة، بل هو كفر وضلال، ومنكر عظيم، وفيه إثم عظيم.

فإن كان طاف يحسب أنه مشروع، ويطوف لله لا لأجل أبي الحسن فهذا يكون بدعة ومنكرًا، وإذا كان طوافه من أجل أبي الحسن ومن أجل التقرب إليه فهو شرك أكبر- والعياذ بالله...).

الوجه المتمم للعشرين

أن التقبيل خاص بالحجر الأسود عند الطواف وأما غير الحجر الأسود فلا يشرع تقبيله حتى الكعبة لقول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [سُورَةُ الأَحْزَابِ :٢١].

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قبَّل الحجر الأسود ولم يثبت عنه أنه قبَّل الكعبة، وقد قال النبي ﷺ كما في مسلم برقم:(١٢٩٧)

عن جابر رضي الله عنه في حديثه الطويل في صفة الحج:« **لِتَأْخُذُوا -عني- مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ** " ، فيبقى المسلم على ذلك ويجب عليه متابعة نبيه ﷺ.

الوجه الحادي والعشرون

أن النصارى الذين هم من جملة من يثير هذه الشبهة واقعون في الوثنية بل إن الوثنية بأوضح وأبشع صورها متجسدة في عقائدهم ألا تراهم يقدسون كثيرًا من البقاع والرقاع، ويعظمون الصليب ويعبدونه، ويقدسونه، ويعبدون المسيح ابن مريم من دون الله، وغير ذلك من عقائدهم الشركية والوثنية ،**فأيُّ الفريقَين أحق بالوثنية ؟!**

الوجه الثاني والعشرون

أن هؤلاء الملاحدة -الذين يدَّعون العقلانية ولا عقول لديهم- يعظمون شعارات وطقوس الماسونية التي شغَّلتهم وصاروا أبواقاً لها تحارب بهم الإسلام، وتجندهم لتشكيك أهله، ولم يقولوا إن طقوسهم الشيطانية وثنية، وكذلك يقدسون شعارات المخنثين واللوطة، ويقدسون فروج المومسات، ويعظمون الغربيين بعجرهم

وبجرهم ، ويعظمون من الشخصيات وأشياء من الجمادات أكثر من تعظيم الله، ولا يصفونها بالخرافة والوثنية، وإذا جاؤوا إلى الإسلام الذي هو دين التوحيد نعتوه بالوثنية والخرافة.!

الوجه الثالث والعشرون

أن جميع دول العالم وشعوبه يعظمون الأعلام والرايات وهي مجرد خِرَق صامتة ويضربون لها التحايا ويُجرِّكون لها المطايا ويقدمون لأجلها أموالهم وأرواحهم ، ولم نرَ الملاحدة -الذين يدَّعون العقل والعقلانية- ينكرون على الدول والشعوب هذا التقديس ولم يقولوا إن تعظيم هذه الخرق من الوثنية مع أن هذه الأعلام بأشكالها وألوانها اختارها مجموعة من البشر .

الوجه الرابع والعشرون

أن هؤلاء الملاحدة استساغوا أَمْرَ اختيار الدول للرمزيات والشعارات والأعلام والنُّصُبِ التذكارية كي يُعَظِّمَها الناس، وجعلوا ذلك من العقل والمنطق، ويعتقدون أنه يحق للدول فعل ذلك، ولم يستسيغوا اختيار الخالق بيتاً له في الأرض، يأمر بتعظيمه ويأمر عنده ببعض الشعائر لأن ذلك من الوثنية ومن العظائم التي لا تجوز في نظر الملاحدة ودينهم! وإلا فما هو الفرق -من جهة العقل والمنطق- بين أن تختار دولة خرقة من القماش، وتجعلها علما وشعاراً ورمزية لها يعظمونها، وبين أن يختار الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الكعبة لتكون بيته المعظم، يؤدي عباده بعض الشعائر عندها مع العَلَم بأن الكعبة ليست هي الخالق المعبود كما أن العلم ليس هو نفس الدولة صاحبة العلم وإنما العَلَم عبارة عن رمزية من الرمزيات.

الوجه الخامس والعشرون

دَأَبَتْ الدول على ما أسموه بالجندي المجهول فجعلوا له قبراً يأتي إليه القادة وغيرهم لوضع الورود وغيرها على قبره، وينحنون برؤوسهم عند ذلك القبر، ولم ينبس الملاحدة ببنت شفة أن هذا القبر من الوثنية، ولم يقولوا إن هذه الطقوس ليست من العقل والمنطق بل يسكتون عن ذلك وكأن في أفواههم الحجارة! فانظر كيف يتناقضون؟!.

الوجه السادس والعشرين

في نظر الملاحدة يحق للدول والشعوب أن تفعل أي شيء وكل شيء ، وأما الخالق فلا يحق له أن يفعل شيئاً أو يحكم بشيء، بل هو في اعتقادهم مجرد خرافة: تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

الوجه السابع والعشرون

أن هؤلاء الملاحدة يرون الوثنيين -كالذين يعبدون تمثال بوذا وبراهما وغيرهما من التماثيل والأصنام- وكذلك يرون الذين يعبدون الفئران والبقر في معابدهم، وغير ذلك وتنشرح لهذا صدورهم ويعجبهم ذلك ويقولون إنه من التعدد وحرية الدين والعقيدة، بل ويثنون عليهم، وإذا جاؤوا إلى الإسلام وأحكامه وإلى الكعبة والحجر الأسود ضاقت صدورهم ذرعاً واستنكروا على المسلمين ورموهم بالوثنية وغير ذلك من الأوصاف والألقاب المنفرة. لتعلم أن مشكلة الملاحدة ليست مع الكعبة وغيرها وإنما مشكلتهم مع الله ومع الإسلام ومن جاء به.

الوجه الثامن والعشرون

أن الملاحدة يسوون في إطلاق أحكامهم بالوثنية بين المسلمين الذين يعبدون الله

وحده وبين الوثنيين والمشركين الذين يعبدون الأصنام والاوثان وربنا يقول في كتابه الكريم: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٥﴾ [سُورَةُ القَلَمِ: ٣٥].

فانظر كيف ينكر الملاحدة على المسلمين استقبالهم للكعبة في الصلاة وطوافهم حولها في الحج والعمرة مع أنهم لا يعبدونها وإنما يعبدون الله وحده، وبالمقابل لا ينكرون ولا يستنكرون من الوثنيين الحقيقيين الذين يعبدون الأصنام والاوثان، ويدعونها ويطلبون منها الحاجات ويستنجدون بها عند الملمات مع أنها جمادات لا تعقل ولا تنطق ، ولا تملك لهم رزقاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً.

الوجه التاسع والعشرون

حتى نحكم على شعيرة معينة أنها وثنية يجب أن تشتمل هذه الشعيرة على عبادات وتقربات لغير الله وهذا ليس له وجود في الكعبة ولا في الحجر الأسود ولا في شيء من شعائر الحج والعمرة. وقد تبين لك مما سبق أن السعي والطواف ورمي الجمار وتقبيل الحجر الأسود وغيرها من المناسك والشعائر لا يقصد المسلم بأدائها صرف

العبادة لغير الله، فالمسلم لا يعبد الكعبة ولا الحجر الأسود ... ولا يتخذها آلهة من دون الله بعكس مشركي قريش فقد اعتقدوا أن الأصنام آلهة يتقربون إليها ويسألونها ويطلبون منها النفع والضر وكانوا يقولون: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ٣٦﴾ [سُورَةُ الصَّافَّاتِ: ٣٦].

وكذلك كان حال قوم إبراهيم عندما كسر أصنامهم كما حكى الله قولهم: ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٩﴾ [سُورَةُ الأَنبِيَاءِ: ٥٩].

الوجه المتمم للثلاثين

أن الحكمة من الطواف والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار قد وردت فيه بعض الأحاديث منها: ما رواه أبو داوود برقم:١٨٨٨- فقال حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ ، حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي زِيَادٍ ، عَنِ الْقَاسِمِ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " **إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ، وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَرَمْيُ الْجِمَارِ ؛ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ** ". وهو بهذا السند **ضعيف** ولكن قد جاء عند الدارمي برقم: ١٨٩٥ – قال أَخْبَرَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي زِيَادٍ ، عَنِ الْقَاسِمِ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

قَالَتْ: **إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ، وَرَمْيُ الْجِمَارِ، وَالسَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ.** قَالَ أَبُو عَاصِمٍ : كَانَ يَرْفَعُهُ.

وحديثها هذا: إسناده **حسن**، ثم ذكر الدارمي طريقاً أخرى تحت رقم:١٨٩٦ – فقال:

أَخْبَرَنَا أَبُو نُعَيْمٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ ، عَنْ سُفْيَانَ ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي زِيَادٍ ، عَنِ الْقَاسِمِ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَهُ. وهذا الحديث: إسناده **حسن** أيضاً، فأنت ترى أن هذا الحديث قد جاء موقوفاً ومرفوعاً وقد رجَّحَ بعضُ العلماء الموقوف، وبعضهم حَسَّنَ المرفوع . وقد سئل ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ : عن الحكمة من الطواف ؟ وهل الحكمة من تقبيل الحجر التبرك به؟

فأجاب بقوله: الحكمة من الطواف بَيَّنَها النبيُّ ﷺ حين قال: «**إنما جعل الطواف بالبيت والصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله**» فالطائف الذي يدور على بيت الله – تعالى– يقوم بقلبه من تعظيم الله –تعالى– ما يجعله ذاكراً الله – تعالى– وتكون

حركاته بالمشي والتقبيل، واستلام الحجر، والركن اليماني، والإشارة إلى الحجر ذكراً لله تعالى؛ لأنها من عبادته، وكل العبادات ذكر لله -تعالى- بالمعنى العام؛ وأما ما ينطق به بلسانه من التكبير، والذكر، والدعاء فظاهر أنه من ذكر الله تعالى. وأما تقبيل الحجر فإنه عبادة حيث يقبل الإنسان حجراً لا علاقة له به سوى التعبد لله - تعالى- بتعظيمه واتباع رسول الله ﷺ في ذلك كما ثبت أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال حين قَبَّلَ الحجر: **«إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيتُ رسولَ الله يقبلك ما قبلتك»** وأما ما يظنه بعض الجهال من أن المقصود بذلك التبرك به فإنه لا أصل له؛ فيكون باطلاً. وأما ما أورده بعض الزنادقة من أن الطواف بالبيت كالطواف على قبور أوليائهم، وأنه وثنية فذاك من زندقتهم وإلحادهم؛ فإن المؤمنين ما طافوا به إلا بأمر الله، وما كان بأمر الله فالقيام به عبادة لله -تعالى-، ألا ترى أن السجود لغير الله شرك أكبر، ولما أمر الله -تعالى- الملائكة أن يسجدوا لآدم كان السجود لآدم عبادة لله - تعالى -، وكان ترك السجود له كفراً، وحينئذ يكون الطواف بالبيت عبادة من أجَلِّ العبادات؛ وهو ركن في الحج؛ والحج أحد أركان الإسلام؛ ولهذا يجد الطائف بالبيت إذا كان المطاف هادئاً من لذة الطواف وشعور

قلبه بالقرب من ربه ما يتبين به علو شأنه وفضله، والله المستعان.(١)

وفي شرح بلوغ المرام لعطية سالم /١٧٩/٤) :(الحكمة من تقبيل الحجر الأسود: لما جاء الإسلام جاء بتقبيل الحجر واستلامه، وقد يعجب المرء من هذا التشريع كيف أن الله سبحانه وتعالى أمر عباده بتحطيم الأصنام، وبإنكار عبادة الحجارة وتعظيمها ثم يأمرهم بتقبيل الحجر، بل يأمرهم أن يطوفوا ببنية الكعبة وهي عبارة عن كتل حجرية! والذي يزيل هذا العجب أنك بعد هذا الفعل تأتي بسنة الطواف التي تقرأ فيها: {قل يا أيها الكافرون} [الكافرون:١] و {قل هو الله أحد} [الإخلاص:١] لتنفي عنك الشرك، ولتثبت أنك ما قدَّست الحجر عبادة ولا تقديساً له، ولكن عملت ذلك طاعة لله. كما جاء عن عمر رضي الله عنه أنه قال حينما قبَّله: **(إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك).**

ففي هذا تقديم النص والاتباع على العقل، أي: أنا أعلم أنك لا تنفع ولا تضر، ولكن مع ذلك أنا أقبلك، فلماذا يقبله وهو لا ينفع ولا يضر؟ الجواب: لأن الإنسان لا يسعى في حياته إلا لجلب نفع أو لدفع ضر كما قال الشاعر:

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ج٢/٣١٨ وما بعدها.

إذا أنت لم تنفع فضر فإنما

يرجى الفتى كيما يضر وينفع

ولهذا قال عمر رضي الله عنه: **(لولا أني رأيت)** فهو قدَّم النص على العقل؛ لأن النص معصوم، فإذا كان النص صحيحاً ثابتاً فألغِ عقلَك، واعمل بما جاء في هذا النص ولكن نبِّه عقلك بالتأمل والتدبر.

يقولون في هذا الأثر: إن علياً رضي الله عنه قال: **(لا يا عمر! إنه ينفع، فقال له: بم ينفع؟ قال: يأتي يوم القيامة وله عينان ولسان، يشهد لكل من استلمه أو قبله يوم القيامة).**

قلت: يشير إلى حديث: - الحجر الأسود ياقوتة بيضاء من ياقوت الجنة وإنما سودته خطايا المشركين يبعث يوم القيامة مثل أحد يشهد لمن استلمه وقَبَّلَه مِنْ أهل الدنيا الذي رواه ابن خزيمة عن ابن عباس رضي الله عنهما وضعفه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ضعيف الجامع: ٢٧٧٠.

وفي مسند أحمد برقم: (٢٧٩٥)

منْ طريق سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ : " **الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَكَانَ أَشَدَّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ، حَتَّى سَوَّدَتْهُ خَطَايَا أَهْلِ الشِّرْكِ** ". قوله: "**الحجر الأسود من الجنة**"

صحيح بشواهده، وأما بقية الحديث فليس له شاهد يقويه، وإسناد الحديث **ضعيف** والله تعالى أعلم.

قال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ :(ويبدو أن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يذهب إلى ثبوت الحديث، فقد رأيته سئل عن حديث: "**الحجر الأسود يمين الله في الأرض** "، وعن

هذا الحديث في "مجموع الفتاوى" (٦/٣٩٧ . ٣٩٨) ؟ فضَعَّفَ الأول، دون هذا وقال مبيناً معناه، وأنه ظاهر فيه؛ فقال :فقوله في: "**اليمن** " يبين مقصود ...) الصحيحة (٧/١١٠١).

الوجه الحادي والثلاثون

أن شعيرة الرجم لبعض الأماكن -كما في رجم الجمرات في الحج- ليست في الإسلام فقط بل قد جاء الرجم في دين اليهود والنصارى وعند غيرهم كما رُجِم قبر أبي رغال، وسيأتي ذكر ذلك عند نقلنا عن بعض العلماء، فلماذا يخص الملاحدة والنصارى أهل الإسلام بالتشنيع عليهم وعلى دينهم من بين سائر الديانات التي وردت فيها شعيرة الرجم؟.

فائدة:

ذكر بعض العلماء حكمة أخرى للطواف حول الكعبة فقال: (..قد جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس ومثابةً يرجعون إليه ليذكروا الله ويعظموه فالحاج والمعتمر يطوف سبعة أشواط حول الكعبة جاعلاً الحَجَرَ الأسود نقطة الابتداء. فالبيت رمز لعبادة الله وتوحيده وهو أول بيت وضع للناس فكان الطواف حوله بمثابة تحية لذلك البيت العتيق الذي وُضع لعبادة الله وحده، ففي الطواف تشبه بالملائكة الحافين حول عرش الله الطائفين حوله، المسبحين له وفي ذلك مايدعو إلى سمو الروح وإخلاص العبادة لله والشعور بأن هذا البيت وُضِعَ لذكر الله، فأنت تصلي في اليوم خمس مرات أو أكثر وتتوجه بصلاتك شطر هذه الكعبة المشرفة، وأنت حينما تحج أو تعتمر تحيي هذا المكان الذي بناه ابراهيم عبادة لله وحده: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ :١٢٥].

الحكمة من السعي بين الصفا والمروة

كما ذكر بعضهم الحكمة من ذلك فقالوا: إن فيه اللجوء إلى الله في كشف الضر وإصلاح النفس فقد كشف الله الضر عن هاجر وولدها إسماعيل وفجَّر لهما نبع ماء زمزم بعد أن كاد العطش يودي بهما، وأيضاً السعي بين الصفا والمروة من العبادات البدنية التي فيها رياضة ومنفعة للبدن وقد قال سبحانه: ﴿* إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ :١٥٨].

الحكمة من الوقوف بعرفة

وذكروا أن الوقوف بعرفة الذي هو ركن من أركان الحج ولا يتمُّ الحجُّ إلا به، فيه إشعار للمسلمين بالوحدة، والألفة، واتفاق المصالح، والاستواء أمام الله جل وعلا

دون تفرقة بين صغير ولا كبير، ولا بين غني وفقير، ولا بين صعلوك وأمير، وذلك مايدعو إلى توحيد الله واتحاد القلوب والمشاعر، وقد قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [سُورَةُ الأَنبِيَاءِ: ٩٢].

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: خطبنا رسول الله ﷺ في أوسط أيام التشريق خطبة الوداع فقال: **((يا أيها الناس! إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر؛ إلا بالتقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴿١٣﴾﴾ ألا هل بلغت؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال فليبلغ الشاهد الغائب ..))**[1].

---

(١) خرجه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الترغيب والترهيب برقم: (٢٩٦٤).

فائدة أخرى نختم بها هذا الرد:

قال بعض من أجاب عن هذه الشبهة : (بقي أن يقال : فما هي حكمة جَعْل ما ذُكر من العبادة ؟ وهل يصحُّ ما قيل من أن النبي ﷺ ترك الحجر في الكعبة مع أنه من آثار الشرك تأليفًا للمشركين ، واستمالة لهم إلى التوحيد ؟

والجواب: أن الحجر ليس من آثار الشرك ، ولا من وضع المشركين ، وإنما هو من وضع إمام الموحدين إبراهيم عليه السلام جعله في بيت الله ليكون مبدأ للطواف بالكعبة يعرف بمجرد النظر إليها ، فيكون الطواف بنظام لا يضطرب فيه الطائفون، وبهذا صار من شعائر الله ، يُكرم ويُقبَّل ويُحترم لذلك كما تُحترم الكعبةُ لجعلها بيتًا لله تعالى وإن كانت مبنية بالحجارة ، فالعبرة بروح العبادة : النية والقصد ، وبصورتها الامتثال لأمر الشارع ، واتباع ما ورد بلا زيادة ولا نقصان ، ولهذا لا تُقَبَّلُ جميع أركان الكعبة عند جمهور السلف ، وإن قال به وبتقبيل المصحف وغيره من الشعائر الشريفة بعض من يرى القياس في الأمور التعبدية، وتعظيم الشعائر والآثار الدينية والدنيوية ، بغير قصد العبادة معروف في جميع الأمم لا يستنكره الموحدون ولا المشركون ولا المعطلون ، وأشد الناس عناية به الإفرنج فقد بنوا لآثار عظماء الملوك والفاتحين

والعلماء العاملين الهياكل العظيمة ، ونصبوا لهم التماثيل الجميلة ، وهم لا يعبدون شيئاً منها، فلماذا نهتم بكل ما يلفظ به كل قسيس أو سياسي - أو ملحد- يريد تنفير المسلمين من دينهم إذا موَّه علينا في شأن تعظيم الحجر الأسود ، فزعم أنه من آثار الوثنية ، ونحن نعلم أنه أقدم أثر تاريخي ديني لأقدم إمام موحد داع إلى الله من النبيين المرسلين الذي عُرِفَ شيء صحيح من تاريخهم ، وهو إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الذي أجمع على تعظيمه مع المسلمين اليهود والنصارى ؟.

ولعمري لو أن ملوك الإفرنج وعلماءهم أمكنهم أن يشتروا هذا الحجر العظيم لتغالوا في ثمنه تغاليًا لا يتغالون مثله في شيء آخر في الأرض ، ولوضعوه في أشرف مكان من هياكل التحف والآثار القديمة ، ولحج وفودهم إلى رؤيته ، وتمنى الملايين منهم لو تيسر لهم لمسه واستلامه ، وناهيك بمن يعلم منهم تاريخه وكونه من وضع إبراهيم أبي الأنبياء عليهم السلام ، وإنهم ليتغالون فيما لا شأن له من آثار الملوك أو الصناع.

وجملة القول : أن مناسك الحج من شريعة إبراهيم عليه السلام وقد أبطل الإسلام كل ما

ابتدعته الجاهلية فيها من وثنيتها وقبيح عملها ، كطوافهم بالبيت عراة ، وإن الكعبة من بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام كما هو ثابت عند العرب بالإجماع المتواتر بينهم ، وكانوا يعظمونها هم والأمم المجاورة لهم ، بل والبعيدة عنهم كالهنود ، ولما كانت الكعبة قد جُدِّدَ بناؤها قبل الإسلام وبعده لم يبق فيها حجر يعلم باليقين أنه من وضع إبراهيم إلا الحجر الأسود ؛ لامتيازه بلونه وبكونه مبدأ المطاف ، كان هو الأثر الخاص المذكِّر بنشأة الإسلام الأولى في ضمن الكعبة المذكِّرة بذلك بوضعها وموضعها وسائر خصائصها ، زادها الله حفظًا وشرفًا، وقد عُلِمَ بهذا أن الحجر له مزية تاريخية دينية .

ولنا مع علمنا بهذا أن نقول:

إن لله تعالى أن يخصص ما شاء من الأجسام والأمكنة والأزمنة لروابط العبادة والشعائر ، فلا فرق بين تخصيص الحجر الأسود بما خصصه وبين تخصيص البيت الحرام والمشعر الحرام وشهر رمضان والأشهر الحرم ، ومبنى العبادات على الاتباع لا على الرأي.

إذا وعيت ما تقدم كان نورًا بين يديك تبصر به حكم سائر مناسك الحج : أعني بها مما تَعَبَّدَنا الله تعالى بها ، لتغذية إيماننا بالطاعة والامتثال ، سواءً عرفنا سبب كل عمل

منها وحكمته ، أم لا وأنها إحياء لدين إبراهيم أبي الأنبياء وإمام الموحدين المخلصين وتذكير بنشأة الإسلام ومعاهده الأولى ، وإن لاستحضار ذلك لتأثيراً عظيماً في تغذية الإيمان وتقوية الشعور به ، والثقة بأنه دين الله الخالص الذي لا يقبل غيره.

فإن جهلنا سبب شرع بعض تلك الأعمال أو حكمتها لا يضرنا ذلك ، ولا يثنينا عن إقامتها كما إذا ثبت لنا نفع دواء من الأدوية مركب من عدة أجزاء ، وجهلنا سبب كون بعضها أكثر من بعض ، فإن ذلك لا يثنينا عن استعمال ذلك الدواء والانتفاع به ولا يدعونا إلى التوقف وترك استعماله إلى أن نتعلم الطب ونعرف حكمة أوزان تلك الأجزاء ومقاديرها.

أبسط ما يتبادر إلى الذهن من منشأِ هذه العبادة – رمي الجمار – أن هذه المواضع التي تسمى الجمرات كانت من معاهد إبراهيم وإسماعيل عليهم السلام ، فشرع لنا أن نقف عند كل واحدة منها ، نكبر الله سبع تكبيرات ، نرمي عند كل تكبيرة حصاة صغيرة بين أصابعنا نعد بها التكبير .

روى الطبراني والحاكم والبيهقي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : **(لما أتى خليل الله**

المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة ، فرماه بسبعة حصيات حتى ساخ في الأرض ، ثم عرض له عند الجمرة الثانية ، فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض) ثم ذكر الجمرة الثالثة كذلك. (١).

فإذا صح أن إبليس عرض لإبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ في أثناء أداء مناسكه بظهور ذاته أو مثاله ، أو بمجرد التصدي للوسوسة والشغل عن ذكر الله تعالى ، فلا غرابة في قذفه ورجمه كما يطرد الكلب ، فمن المعروف في الأخلاق والطباع أن يأتي الإنسان بعمل عضوي يظهر به كراهته لما يعرض له ، حتى من الخواطر القبيحة ، ودفعه عنه وبراءته منه ، فأخذ الحصيات ورميها مع تكبير الله تعالى من هذا القبيل ، وإن حركة اليد المشيرة إلى البعد لتفيد في دفع الخواطر الشاغلة للقلب.. والرجم بالحجارة بقصد الدلالة على السخط والتبري أو الإهانة معهود من الناس وله شواهد عند الأمم ، كرجم بني إسرائيل مع يشوع (النبي يوشع عَلَيْهِ السَّلَامُ) لعجان بن زراح وأهله وماله من ناطق وصامت (كما في٧ : ٢٤ و٢٥) من سفر يشوع وكرجم النصارى لشجرة

---

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه (٢/ ١٠٠) وصححه الحاكم في "المستدرك" ، والألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح الترغيب" (١١٥٦) وقد روي مرفوعًا وموقوفًا.

التين التي لعنها المسيح ، ورجم العرب في الجاهلية لقبر أبي رِغَال في المُغَمَّس بين مكة والطائف ؛ لأنه كان يقود جيش أبرهة الحبشي إلى مكة لأجل هدم الكعبة حرسها الله تعالى.

والعمدة في رمي الجمار ما تقدم من قصد التعبد لله تعالى وحده ، بما لا حَظَّ للنفس فيه اتباعًا لإبراهيم أقدم رسل الله عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ الذين بقيت آثارهم في الأرض، ومحمد

خاتم رسل الله ومكمل دينه ومتممه الذي حفظ دينه كله في الأرض ، صلى الله عليهم أجمعين . ...) انتهى المقصود، (١).

وجاء في كتاب شبهات المشككين ص (١٠٤) ما نصه:(..إنهم في هذه المقولة - يريدون أن يتهموه -أي النبي ﷺ - بأنه كان يُعَظِّم الحجر الأسود بل ويعظم الكعبة كلها بالطواف حولها وهي حجر لا يختلف في زعمهم عن الأحجار التي كانت تصنع منها الأوثان في الجاهلية وكأن الأمر سواء!!.

(١) وانظر للاستزادة في "أضواء البيان" للأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (سورة الحج/٢٧) مبحثين في حكمة الرمي والرمل في الحج.

وحقيقة الأمر أن من بعض ما اسْتَبْقَاه الإسلام من أحوال السابقين ما كان فيه من تعاون على خير أو أمْر بمعروف ونهْي عن منكر، من ذلك ثناء الرسول ﷺ على حلف كان في الجاهلية يسمى " **حلف الفضول** " وهو عمل إنساني كريم كان يتم من خلاله التعاون على نصرة المظلوم، وفداء الأسير، وإعانة الغارمين، وحماية الغريب من ظلم أهل مكة وهكذا..

وقد أثنى الرسول ﷺ على هذا الحلف وقال: **لو دُعيتُ إلى مثله لأجبت.**

وأيضًا كان مما اسْتَبْقَاه الإسلام من فضائل السابقين مما ورثوه عن إبراهيم عليه السلام تعظيمهم للبيت الحرام وطوافهم به؛ بل وتقبيلهم للحجر الأسود.

وهناك بعض مرويات تقول إن هذا الحجر من أحجار الجنة.

وهنا فقط لا يكون أمامنا إلا ما ثبت من أن الرسول ﷺ كان يقبِّل الحجر الأسود عند طوافه بالبيت، وهو ما تنطق به الرواية عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال عن تقبيله لهذا الحجر: (**والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك**).

وهنا نقول:

من المستحيل أن يكون تقبيل الرسول ﷺ للحجر الأسود من باب المجاراة أو المشاكلة لعبدة الأصنام فيما كانوا يفعلون.

ومستحيل أيضا أن يكون ﷺ قد فعل ذلك - أي تقبيل الحجر الأسود - دون وحي أو إلهام وَجَّهَه ﷺ إلى تقبيل الحجر بعيداً عن أي شبهة وثنية أو مجاراة لعبدة الأصنام.

ولأنه ﷺ قال: [**خذوا عني مناسككم**] فقد أصبح تقبيل الحجر الأسود من بعض مناسك الحجاج والعمار للبيت الحرام.

كما أن تعظيم الحجر الأسود هو امتثال لأوامر الله الذى أمر بتعظيم هذا الحجر بالذات، وهو سبحانه الذى أمر برجم حجر آخر كمنسك من مناسك الحج فالأمر بالنسبة للتعظيم أو الرجم لا يعدو كونه إقراراً بالعبودية لله تعالى وامتثالاً لأوامره عز وجل واستسلاماً لأحكامه. اهـ من (**شبهات المشككين**).

ونأخذ من قول عمر رضي الله عنه -وقد أشرنا إليه قبل- أن الله إذا لم يأمر المسلمين بالطواف حول الكعبة ما طافوا ولو لم يقبل النبي ﷺ الحجر الأسود ما قبَّلوه، ولو لم

يأمرهم برمي الجمرات ما رموها وهكذا.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : بيَّن عمر رضي الله عنه أنّ العباداتِ مبناها على متابعة الرسول ﷺ إذْ كان دينُ الإسلام مبنيًّا على أصلينِ:

أحدهما: أن لا يعبُد إلا الله، لا يُشرِك به شيئًا.

والثاني: أن يَعبده بما شرع من الدين، لا يعبده بشَرْع مَن شرعَ مِن الدين ما لم يأذَن به الله، كالذين قال فيهم: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ﴾ [ٱلشُّورَىٰ: ٢١].

فأخبرَ عمرُ رضي الله عنه أنا لم نُقبِّلْك نَرجو منفعتَك ونخافُ مَضرَّتَك، كما كان المشركون يفعلون بأوثانهم، بل نعلم أنك حجر لا تَضُرُّ ولا تنفع، ولولا أن الرسول قَبَّلك. وقد أمرنا الله باتباعِه، فصارَ ذلك عبادةً مشروعةً. لما قبَّلْتك، لسنا كالنصارى والمشركين وأهل البدع الذين يعبدون غيرَ الله بغيرِ إذن الله، بل لا نعبد إلاّ الله بإذن الله، كما قال لنبيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [ٱلأَحْزَاب: ٤٥-٤٦].

فبيَّن أن رسولَه يدعو إليه بما أذن فيه من الشَّرع، لا بما لم يأذن به، كالذين شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله. انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١].

إلى هنا ونكون قد انتهينا مما أردنا كتابته من الوجوه في الرد على هذه الشبهة، وهي التي حضرتني وقت الكتابة والبحث ، وإلا فمن بحث وتأمَّل أكثر فسيجد وجوهاً أخرى للرد عليها، فأسألُ اللهَ أن ينفعَ بهذه الرسالة وأن يجعلها وسائر رسائلي وكتاباتي خالصة لوجهه الكريم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبها

عبد اللّه العبدلي/أبوحذيفة

يوم الإثنين/١٢/ من شهر صفر/١٤٤٥هـ

---

[١] من كتابه جامع المسائل :(ج٥ ص/١٠١ (١٠٢).

تم بحمد الله